

## الاسطورة بين التشكيل الفني والانتاج الدلالي

## في شعر النابغة الذبياني

د . فاضل عبد الامير شريف

مركز احياء التراث العلمي العربي

جامعة بغداد

## ملخص البحث :

يعد النتاج الخطابي العربي مرآة العرب ومنبر أفكارها. ومن الطبيعي أن هذا النتاج يعكس الحياة العربية بكل مفاصلها الاجتماعية والدينية والأخلاقية والقارئ المتأمل لهذا النتاج ولاسيما الشعري منه يلحظ أن هناك معتقدات وطقوسا وأساطير وشعائر توارثتها ومارستها، لدرء الأخطار المحدقة بها ودفع الشر عنها. وقد فتحت تلك النصوص (النتاج الشعري) نوافذ كبيرة للكشف عن الانطباع الفكري الذي كان يسود العقلية العربية قبل الإسلام لاسيما الشعراء منهم، كيف تعاملوا مع تلك الأساطير والمعتقدات؟ وما مدى الاتساع الذي كانت تشغله الأسطورة في أذهان الناس؟ وكيف وظفها الشاعر لخدمة غرضه؟ هل وقف عند الاستخدام الشكلي لها؟ أم حملها دلالات فنية أخرى، تجعل منها عالقة في أذهان الناس؟ ، وقد قصدت في هذا البحث المتواضع ان اكشف عن تلك المعتقدات في شعر النابغة الذبياني، لما زخر به ديوانه من نصوص متضمنة لتلك الأساطير والمعتقدات وقد تناولنا هذا البحث من خلال ثلاث محاور يسبها لمحة عن الحياة النابغة الذبياني.

المحور الأول : الاساطير الخيالية المتمثلة بالجن .

المحور الثاني : المعتقدات الشعبية المتضمنة للفكر الأسطوري كالطيور والحيوانات.

المحور الثالث : الشخصيات ذات المضمون الأسطوري المتمثلة بالملك و (الإله) و (الرب) واضفاء بعض الصفات الإلهية الأخرى.

مفاتيح البحث : الاساطير الخيالية ، الجن ، الطيور ، الحيوانات ، الشخصيات الأسطورية، الملك ، الاله ، الرب .

## لمحة عن حياة النابغة الذبياني :-

أبو إمامة زياد بن معاوية من ذبيان وأمه عاتكة بن أنيس من أشجع من ألمع الوجوه الجاهلية إذ لم يكن ألمعها. لقب بالنابغة لسبب اختلاف فيه العلماء اختلافا شديدا وقد يكون تقديرا عند الجاهليين لمن يتفوق عن صفات وقوى ذاتية لا وراثية. نشأ في قومه ذبيان وكانت منازلهم بين الحجاز وتيماء، ولم يكد يتجاوز سن الحداثة إلى سن الصبا ثم الكهولة حتى وجد نفسه شاعرا مطبوعا كريم اللفظ والمعنى ثم تنتقل سمعته بين القبائل وتشتهر في الأسواق والمواسم حتى تصل إلى عكاظ فينصب له فيها قبة من آدم ويحتكم إليه الشعراء

فيقضي بينهم وكان حكمه مقبولا ورأيه موفقا وسديداً. ثم تترامى إليه أخبار النعمان بن المنذر ملك الحيرة والمعروف بأبي قابوس وأنه يحتفي بالشعر ويهتم به وأن الشعراء يقفون ببابه ويمدحونه، فيخف إليه ويمدحه وينال عنده الحظوة ويصبح شاعره الخاص ونديمه المفضل، فحسده الشعراء المقربين عند النعمان ودسوا له ووضعوا على لسانه شعرا اورعزوا به صدر الملك واشادوا عنده الحفيظة والغضب فتغير عليه وأبعد منزلته عنه وتوعده فلم يجد النابغة من الهرب والنجاة نفسه والرجوع إلى قومه. وكانت بمشارك الشام دولة فنية تنتمي إلى غسان تنافس المناذرة وتخاصمهم فرحل إليهم وكان ذلك على عهد الحارث بن عمرو الغساني وفي أيام علو شأنه واتساع نفوذه فوجد عنده ومن حوله احتفاء وتكريما. ولم يكد يموت ممدوحه (الحارث) حتى تنكر له بسبب سوء العلاقة بين قومه وبين (الحارث). ثم لم يلب ثان تذكر مليكه من المناذرة وما ناله من مدح ومنزلة وتكريم فحن إليه وأنشد قصائد فيها من اعتذار في ذنبه ليبرر ساحته مما أشاعه عنه خصومه فقبل النعمان شفاعته واعتذاره وأمر برد النابغة إلى منزلته ومنحه ما تعود من أعطيات ثم ظل يتردد بين الحيرة ومنازل قومه بالحاجز إلى أن نعي إليه النعمان على يد ملك الفرس فألتحق النابغة بقومه حتى قضى أيامه الأخيرة وتوفي نحو (٦٠٤م) <sup>(١)</sup>. أما أثارة فقد خلف لنا ديوانا شعريا طبع وحقق عدة مرات ضم ثلاث اقسام هي القليات واللخميات والغسانيات تتخللها أغراض مختلفة أشهرها الاعتذاريات والوصف والغزل وشعره شديد الصلة بحياته القلبية والسياسية، تعد أشهر قصائده هي داليتيه (الاعتذارية) ونظمها في بحر البسيط. وبعد هذه السطور المهمة من حياة النابغة نبدأ بحثنا بالمحور الأول.

#### المحور الأول : الأساطير الخيالية المتمثلة بالجن :-

عندما يرخي الليل سدوله ويغمر الظلام والوحشة كل شيء ويسيطر السكون تسلط الأوهام على أفقه الضيق. ذلك الجاهلي وتجسم المخاوف والاحلام على مخيلته المحددة فيدعي عندئذ أنه رأى الجن وخالطها وقد يكون ذلك تثبيتا لشجاعته وبرهانا على شدة بأسه ولعدم امكانية رؤية ذلك العالم اطلقت عليه كلمة الجن <sup>(٢)</sup>.

وتحدث العرب في هذه المسألة فقد أشار إليها الجاحظ بقوله : ((استوحش الإنسان تمثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتفضت أخلاطه، فرأى ما لا يرى وسمع ما لا يسمع وتوهم على الشيء اليسير الحقيق أنه عظيم جليل، ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تتأشده)) <sup>(٣)</sup>.

وقد عرفه بقوله كل مستجن فهو جني وجان وجنين / وجن ولم تكن صورة الجن متحددة بهيئة واحدة فمن الجن ما هو على صورة حيوان شاذ كالغول والسعلاة <sup>(٤)</sup>. وقد نسبوا كل شيء فائق القوة والشدة ونحوهما إلى الجن إذ كان يقال للقوم إذا ذكروا بالشدة كأنهم حية

عبر وعبر موضع كثير الجن بالبادية حسب ما يعرفه ابن منظور<sup>(٥)</sup>. وقد نسبوا كل شيء فائق القوة والشدة ونحوهما إلى الجن إذ كان يقال للقوم إذا ذكروا بالشدة كانت حية عبر وعبر موضع كثير الجن بالبادية حسب ما يعرفه ابن منظور<sup>(٦)</sup>. فتخللوا ان عبر واديهم ومقامهم ولم يكن عبق الموضع الوحيد الذي عد مكانا تسكنه الجن وان كان أشهرها، إذ هناك مواضع أخرى نسبت إليها كثرة الجن منها جن ويار، وجن البري وجب البقار وجن سما وغيرها<sup>(٧)</sup>، فكان العربي يتوهم كل مكان غير مطروق مسكنا للجن والأرواح وتصنع دواوين الشعراء الجاهليين ولاسيما ديوان النابغة الذبياني الذي يجعلنا نتلمس معطيات تلك النصوص، وإذ يفخر النابغة بفرسان قومه ويشبههم بـ(جن البقار) وذلك في قوله :

((وبنو قعين لا محالة أنهم اتوك غير مقلمي الأظفار  
سهكين من صدأ الحديد كأنهم تحت السنور جنة البقار))<sup>(٨)</sup>

فبنوا قعين وهم حي من بني اسد وهم حلفاء قومه بني ذبيان، جاءوا مدججين بالسلاح أي أنهم يقصدون الحرب وتفوح منهم رائحة كريهة من طول لبسهم للحديد وهم على شاكلة (جن البقار) وهذا الأخير اسم الموضع كانت العرب تزعم أنه كثير الجن.

بكل مجرب كالليث يسمو على أوصال ذبال رفن  
وضمر كالفداح مسومات عليها معشر أشباه جن<sup>(٩)</sup>

أن خيولهم الضامرة يمتطيها أناس يشبهون الجن وهكذا فقد لجأ الشاعر إلى صورة الخوارق (الجن) لأنه ينسب اليهم كل ما هو فوق طاقة البشر ولذا فأن هؤلاء الفرسان هم من طينة مختلفة لا يرقى إليها احد. وعلى قدر هيمنة الموروث الفكري الهائل وتمثل مجموع مفرداته في النص الشعري الجاهلي فإن الشاعر عندما يستقي من الموروث الخرافي ليس من شأنه التحقق من الجذور الأولى والتقيّد بالأصول بل يجد في وسع موهبته الفنية قدرة على التحوير والتشكيل الجديد، تفقد الخرافة معالم شخصيتها الأولى وتمنحها حياة جديدة، وقد أظهر النابغة الذبياني الفهم الخرافي الشائع في عصره على صورة لا تمثل الحقيقة الواردة في القرآن الكريم، فتجده يشبه قدرة الممدوح على الفعل بقدرة النبي سليمان (عليه السلام) المستمدة من الآله حين سخر له الجن لبناء تدمر بالعمد والصخر فيقول :

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه وما أحاشي من الأقوام من احد  
إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فأحددها عن الفند  
وخيس الجن أني قد أدنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد<sup>(١٠)</sup>

وهي صورة ربما تتناقض سعة الامتداد الجغرافي الذي آل إلى حكم سليمان (ع) وربما تتناقض الحقيقة التاريخية لبناء تدمر على أيدي الجن لما رأوا من متعتها الباهرة وصنعتها العجيبة.

وهكذا فقد اكسب الشاعر هذه الاسطورة دلالات ابعد مما كانت عليه في الواقع مما جعلها تنبض بالحياة والابداع وذلك راجع إلى أسلوبه وخياله الواسع في اضافة تلك الملامح على هذا المخلوق الخرافي (الجن).

### المحور الثاني : المعتقدات الشعبية المتضمنة للفكر الأسطوري :-

**أولاً : الطيور :-** استغل الشعراء بعض الطيور الاسطورية أو ما يدور حول طيور حقيقية من اساطير لتحميلها دلالات وابعاد يعكسوا من خلالها ما يرمون إليه من معاني وأفكار. وأطلقوا عليها اسم الزجر والعيافة وهي أن تعتبر باسماء الطير ومساقطها وأنواعها، فتسعد أو تتشاءم والعائف المتكهن بالطير أو غيرها<sup>(١١)</sup>. وقد شاع في العرب زجر الطير والوحش واثارتها فما تيامن منها سموه سانحا وما تياسر سموه بارحا وما استقبلهم فهو الناطح وما جاء من خلفهم فهو القصيد. واختلفوا في الاصطلاح لأن الزجر وهم وخرافة تابع للمصادفة والبحث فمن زجر طيرا وقضى لبيانه تضاعل باتجاهها ومن لم يقض حاجته تشاءم بهذا الاتجانه نفسه<sup>(١٢)</sup> ومن تلك الطيور :

**الغراب الأسود :-** للغراب الأسود اساطيره في الزمن القديم فقد كان عند الحمدانيين رمزا من رموز الشمس وهو الذي دل قابيل كيف يدفن أخاه هابيل وهو دليل عبد المطلب على موضع (زمزم) وهو من طيور الجنة وليس من المستبعد أن يكون العرب القدماء قدسوه وهذا يعني أنه أشبه بالكاهن والدليل فهو يحمل رسالة من وراء حجب الغيب على ما يذكر د. محمد عيجنة في كتابه (موسوعة الاساطير العربية)<sup>(١٣)</sup>. ولكن هنا الواقع الاسطوري القديم لم يبق على حاله ولم يظهر في الشعر الجاهلي ولكن الذي ظهر في هذا الشعر هو الواقع الاجتماعي الذي يغذيه ذلك التراث الاسطوري، فقد ذكر البغدادي في خزائنه قولهم ((أشأم من غراب البين)) ثم قال : ((فأنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار لنجعه وقع في مواضع بيوتهم يتلمس ما يأكله فتشاءموا به وتطيروا منه، إذا كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين))<sup>(١٤)</sup>. ولعل سبب ذلك أمور ترجع إلى لونه أو إلى عمله أو إلى اسمه وبين ذلك قول الجاحظ ((وتطيروا بالغراب إذا كان أسود ولاختلاف لونه أن كان أبقع ولأنه غريب لا ينقطع إليهم ولأنه لا يوجد في موضع خيامهم يتعمم إلا عند مبايتهم لمساكنهم وما زيلتهم لدورهم ولأنه ليس شيء أشد على ذوات الدبر من أبليهم من الغريان، ولأنه ينقب عن الدبر حتى يبلغ إلى دايات العنق وما اتصل بها من خرزات الصل وفقار الظهر (...)) وقد أشار الجاحظ إلى التشاؤم باسم الغراب بقوله أن اسمه قد اشتقت منه الغرابة والاعترا ب والغريب لهذا جعلوا الغراب مثلا في الشؤم حتى انهم إذا ذكروا غيره ذكروا الغراب معه وقد يذكرون الغراب وحده، وهم يشاءون بغيره ... وبلغ من بعضهم له أن تحرزا من التصريح باسمه فكفوا عنه بالأعور مع أنه مشهور عندهم بقوة الابصار وصفاء العين.

فيقال أصبح بدنا من غراب وابصر من غراب واصفى من غراب<sup>(١٥)</sup>.

وقد أكثر الشعراء من ذكر تشاؤمهم بنعيه وشحيجه فقد توجس النابغة أن يرتحل عنه احبائه لما سمع بنق الغراب فقال في إحدى قصائده :-

**زعم الغراب بان رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الاسود<sup>(١٦)</sup>**

فإنما يرى بنعيب الغراب شؤم وفراق لمن يحب فكأن الشاعر استصفى من الاسطورة القديمة رمزيته التي تعززها الخبرة الاجتماعية وقد قرن هذه الرمزية بعنصر اسطوري آخر هو (زعم البوارح) لأن العرب كانت تؤمن بالعيافة فتزجر الطير تفاؤلاً أو تشاؤماً بممرها فالسائح ما ولك ميامنه وهم يتفاؤلون به والبارح ما ولاك مياسره وهم يتشاؤمون به<sup>(١٧)</sup>.

وبقي التشاؤم بالغراب إلى ما بعد الإسلام وما زال الناس يتشاؤمون به وباليوم إلى اليوم، على الرغم من أن الشريعة الإسلامية حددت موقفها منها وخص القرآن الكريم المشركين بلغة التطير في قوله تعالى : ( قالوا طركرم معكم أين نكرتم بل أنتم قوم مسرفون )<sup>(١٨)</sup>. كما نهت بعض الأحاديث النبوية الشريفة عن التطير منها قول الرسول (ص) : ((من ردت الطيرة من حاجة فقد أشرك))<sup>(١٩)</sup> إيماناً من الرسول الأعظم (ص) بأنها من أباطيل الحديث وما أنزل الله بها من سلطان. على أنهم تشاءموا بطيور أخرى منها الجراد لأن ((فيه معنى الجرد ولأنه ذو ألوان))<sup>(٢٠)</sup> والجرد من معانيه القحط ومنح والتعرية والبلى<sup>(٢١)</sup> وروي عن النابغة خرج وزبان من منظور الغزاري للغزو فسقطت جرادة على النابغة فتطير وعاد وأما زبان فمضى فظفر وغنم فقال :

**تعلم أنه لا طير إل على متطير وهي النور  
على شيء يوافق بعض شيء أحياناً وباطله كثير<sup>(٢٢)</sup>**

وفي هذه الآيات معنا جديد هو أن الطير لا أثر لها في خيبة أو نجع وما هي إلا مصادفات في بعض الأحيان والمصادفة ليس شيئاً ولا علتة.

**لقمان ولبد :-**

ذكرت كتب التاريخ والأدب على حد زعم العرب أنه كان عند لقمان بن عاد سبعة نسور، ولما كان مشرفاً على الموت وأراد أن ينهض فضربت عروق ظره، ولم يكن قبل ذلك يشتكي شيئاً منها، فأشرف على الموت ثم نظر إلى (لبد) وقد تطايرت النسور ورام أن يطير فلم يطق، ثم أخذ لبد بيديه ورمى به ليطير فسقط لبد وتطاير وتناثر ريشه فلم يطق أن ينهض ثم قال لقمان له : ((يا لبد صحبتني فصحبتك ونزيتني فكذبك ثم عاد لثقان فأخذنا لبد فرمى به ليعلو ويطير فسقط وتطاير ريشه فلما ايقن بالموت قال : يا قوم دعوني من سير الجبارين واسلكوا في سبيل الصالحين، أحفروا لي ضريحاً وواروني تراباً وحصباً ولا تجعلوني للناظرين نصباً ومات لقمان))<sup>(٢٣)</sup>.

وقد ذكر لقمان والنشور كثير من الشعراء وتتفق هذه الاستشهادات في مضامينها التي تصدت إليها والغايات التي تمثلت من أجلها والمرامي التي ذهبت إليها وهي تتفق في أغلبها على (قوة الدهر) و(غلبة الأيام) وهي تجمع من ناحية أخرى على استحالة خلود المخلوقات فكل شيء يزيله الدهر لأن الدهر قوي وكل شيء ينتهي لأن ريب الزمان واقع لا محالة<sup>(٢٤)</sup>. وقد استثمرها النابغة الذبياني استثمارا عكس من خلاله شموخ الاسطورة بل أنتج دلالات أخرى وهو يقف على أطلال الحبيبة واصفا ما حل بالديار وأهلها قائلا:

يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الأبد  
وقفت فيها اصيلا لا أسألها عيت جوابا وما بالربع من أحد  
ألا أوارى لا ياما أبيتها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد  
أضحت قفارا واضى أهلها احتملوا أخنى عليها الذيب أخنى على لبد<sup>(٢٥)</sup>

لقد ارتحل أهل الدار فأصبحت خلاء إلا محبس الدابة وحاجز التراب فهي خالية مقفرة، ولكي ينقل لنا ما حل بها من خراب وفناء يلجأ الشاعر إلى اسطورة (البد)<sup>(٢٦)</sup> ومن خلال الاسقاط المتبادل بين طرفي الصورة يأخذ كل منهما ملامح الآخر.

وبما أن الفناء قد حل بلبد فقد حل بالدار ما حل، والاسطورة أيضاً قوية الايحاء بالامتداد الزمني السحيق وبفعل الزمن ودورانه وجبروته الهائل الذي لا يقهر، وكل هذا ينعكس على اطلال الحبيبة فتنبث احياء بالخيبة والفشل والمرارة والزوال، فالدهر في حديث النابغة هو الذي ازال معالم هذه الديار وهو الذي أسكت الربع وأوحشه وهو الذي أفنى لبد وأخنى عليه وبذلك تتصل أسباب فناء الديار بأسباب فناء لبد.

#### الحمامة :-

استغل الشعراء احيانا بعض الطيور الاسطورية او ما يدور حولها من قصص واساطير وقد تحدثنا عن الغراب ولقمان ولبد ونقف هنا عند اسطورة بكاء الحمامة والذي ملخصها أن الحمامة تبكي هديلها والهديل هو فرخ فقدته الحمامة على عهد نوح وهي لا تزال تبكيه وتدعوه. والنابغة حين يقف على الاطلال لا يجد أفضل من هذه الاسطورة يلجأ إليها لتصوير الدموع الغزيرة التي سفحها حزنا وتقجعا على فراق حبيبته :

اسائلها وقد سفحت دموعي كأن مفيضهن غروب شن  
بكاء حمامة تدعو هديلا مفاجئة على فتن تغني<sup>(٢٧)</sup>

فالشاعر يسائل الديار ودموعه تنهمر من عينيه بغزارة الماء الذي يفيض من قرية بالية يكثر فيها الثقوب وكأنني بالشاعر لم يجد ذلك كافيا فاستعان ببكاء الحمامة على هديلها والشاعر في امتطائه لهذه الاسطورة ارتقى كثيرا فوق مستوى معنى البيت السابق، ذلك أن القرية البالية التي يسيل ماؤها تبقى محدودة الحجم مهما عظمت وبالتالي فإن دموع النابغة

التي تشبيهها هي محدودة الكمية أيضاً أما في البيت الاسطوري فإنه يتحول إلى حمامة تبكي هديلها والدموع أصبحت أكثر غزارة بما لا يقاس على اعتبار أن الحمامة تبكي منذ عهد نوح وما تزال وسوف تستمر، وهذا يجعل البكاء قديماً في الزمن ومتواصلاً في المستقبل دون حدود، وثمة ميزة أخرى في الحمامة ليست متوافرة في القربة وهي أنها تبكي فرخها هنا يدخل الشاعر عنصر الأمومة في الصورة فهي أم تكلّي تبكي ولدها وليس ثمة من حزن وتهجع بمستوى الأم التكلّي وتفجعها، أما القربة فهي جامدة لا مبالية وهكذا فقد كانت الصورة الاسطورية أكثر ابداعاً لا سيما وكانت معادلاً للحن على فراق حبيبته<sup>(٢٨)</sup>.

### ثالثاً : الحيوانات :-

لقد تشاءم العرب ببعض الحيوانات مثلما تشاءموا من الطيور، ومنها الثور الأعظم المكسور القرن والابتر المقطوع الذنب والقصيد ما اتاك من ظبي أو طائر والنطيح ما استقبلك من أخافك من طائر أو ظبي أو وحشي<sup>(٢٩)</sup>، ومن تلك الاساطير.

### أ- ضرب الثور إذا عافت البقر :-

وهي من اساطير العرب في الجاهلية، ضربهم للثور إذا عافت البقر الماء : ((فكانوا اوردوها ولم تشرب اما لقلة العطش وأما لكدر الماء، فيضربون الثر ليقحم الماء لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل وكما تتبع أتن الوحش الحمار..))<sup>(٣٠)</sup>. ولا بد أن يكون هذا الضرب موجعاً ومؤلماً بالنسبة للثور وتزعم الاسطورة أن الجن هي التي تصد الثيران من الماء وتمسك البقر عن الشرب حتى تهلك. أن هذه الاسطورة توحى بالألم وتنسب بعالم الأيذاء لشخص يؤدي ويهان لمنابة لم يكن له بد منها، لقد تلمس الشاعر القديم فيها تجاوباً حسياً مقبولاً وأدرك حوادثها تشابهاً منطقياً مع حالة نفسية عانها ووعى تجربتها<sup>(٣١)</sup>. فقد عجب النابغة من أن تلقى عليه جريرة لم يقترفها وشبه حاله بحال الثور المظلوم يضرب لأن البقر لا ترد الماء :

انترك معشرا قتلوا هذيلاً وتعقبني بما فعلت حدام  
كذلك يضرب الثور المعني اذا ما عافت البقر والخيام<sup>(٣٢)</sup>

### ب- كي السليم ليصح الجرب :-

ان معتقدات العرب في العصر الجاهلي بشأن الثور متطابقة وقريبة مع زعمهم القائل كذي العر يكوى غيره وهو راتع) وهو مثل يضرب في أخذ البريء بذنب الجاني. وقد أشار النابغة الذبياني في إحدى اعتذارياته إلى هذا الزعم ليرد عنه التهم الباطلة التي كان الأولى ان يتحمل تبعاتها غيره :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل يآثمن ذو أمة وهو طائع  
لكفتني ذنب امرئ وتركته كالذي العر يكوى غيره وهو راتع<sup>(٣٣)</sup>



لقد كان النابغة يحاول التبرؤ مما رمي به ويلتمس الأدلة لبراءته ومنها أنه قد أخذ بذنب غيره وما عقاب النعمان بن المنذر له وهو البريء وتركه للمذنب بلا عقاب إلا كمن يعمد إلى بعيرين أجرب وسليم فيكوي السليم ويترك الأجرب راتعا بل كي : وهكذا فقد حاول بيان الظلم الواقع عليه وبيان ما في هذا الظلم من بعد عن العقل ومجافاة للمنطق السليم. وإذن فالنابغة يستخدم هذه الخرافة أو الاسطورة على أنها مثل لسوء المحاكمة والتقدير لا على أنها حقيقة تعيش في ضميره وضمير عصره شأنها في ذلك شأن اسطورة الثور والبقرة<sup>(٣٤)</sup>. وقد ذكر البغدادي في (خزانة الأدب) أن هذا الأمر كان يفعله جهال الأعراب وكانوا إذا وقع العر في أبل أحدهم اعترضوا بعيرا صحيحا من تلك الأبل فكوا مشفره وعضده وفخذه يرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب العر من أبلهم<sup>(٣٥)</sup>.

#### شفاء اللديغ عند تعليق الحلي والجلال عليه :

ومن خرافات العرب في الجالية أنهم كانوا يعلقون الحلي والجلال على اللديغ زاعمين أنه يفيق وذلك لأنهم أرادوا شغله بصلصالها حتى لا ينام فيسري السم فيه فيهلك على زعمهم . قال العتيبي : ((كانوا يجعلون الحلي في يد الملدوغ ويحركونها لئلا ينام فيدب فيه السم، وقيل لبعض الأعراب : اتريدون ان يسهري فقال : أن الحلي لا تسهر ولكنها سنة وراثها أو هم زعموا أن حلي الذهب تبرئه وحلي الرصاص تميته))<sup>(٣٦)</sup>. وقد استثمر النابغة الذبياني هذا المنقذ ليمثل شدة أرقه وسهره :

وعيد ابي قابوس في غيره كنهه اتاني ودوني راكس فالضواجع  
فبت كاني ساروتي ضئيلة من الرقش في نيابها السم نافع  
يسهد من نوم العشاء سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع<sup>(٣٧)</sup>

#### المحور الثالث : الشخصيات ذات المضمون الاسطوري :

مما لا شك فيه أن الإنسان اسمى المخلوقات في هذا الكون الرحيب منذ ظهوره، على صفحة التاريخ وذلك لامتلاكه الكثير من الصفات التي خص بها دون سائر الكائنات الأخرى. وقد أمن الإنسان العربي بشانه شأن غيره بمعتقدات ومارس طقوسا وشعائر وفقا لايमानه المتجانس مع واقعه الاجتماعي والبيئي طوال تاريخه الطويل، حتى غدا ذلك التاريخ زاخرا في كثير من جوانبه لحشد كثير من المضامين الاسطورية. ومن منطلق هذا التصور غدا الإنسان في بعض ما أوتي من (بركات الإلهة) من الشخصيات الاسطورية عند العرب وهو ما تميز في الاساطير بالقدرات العجيبة<sup>(٣٨)</sup>، وهي قدرات نظر إليها غالبية المجتمع العربي نظرة تمازجا الرهبة والرغبة والتعظيم والتقديس والطاعة وقد اكد الجاحظ وجود مثل تلك النظرة أي (نظرة الطاعة) مبينا بواعثها بقوله : ((فالناس يختلفون في جهة الطاعة فمنهم من يطيع بالرغبة ومنهم من يطيع بالرهبة ومنهم من يطيع بالمحبة ومنهم من يطيع



بالديانة<sup>(٣٩)</sup>. وإذ نطمئن إلى هذا التصور فما علينا إلا أن نواجه تلك الشخصيات ذات الملامح الاسطورية في عصر ما قبل الإسلام لنكشف من خلالها عن موروثات العالم الغيبي واساطيره الموغلة في القدم ومنها الملك، والإله والساحر والرئيس والرب وألقاب أخرى سوف نتحدث عنها أثناء اشارتنا لوجودها في شعر الشعراء الجاهليين عامة وشاعرنا الذي نتحدث عنه (النابغة الذبياني) خاصة. فقد ذهب النابغة إلى تجسيد بعض صفات الإلهية في ملكه النعمان بن المنذر من حيث امتلاكه القدرة على الحياة والموت في معادلة يتساوق طرفاها بقوله:

وانت ربيع وينعش الناس سيبه وسيف اعيرته المنايا قاطع<sup>(٤٠)</sup>

وكان ذلك من منطلق أن الناس يتوقعون من ملوكهم امتلاك القوى السحرية والاعجازية التي يستطيعون بها منح البركات والخير على اساس أنه منزل من السماء وفعاله عظيمة لا يقدر عليها أحد وكان ذلك منطلقه أيضاً إزاء الملك عمرو بن الحارث الغساني في امتلاكه كفين واحدة تصادر الحياة والأخرى تديمها<sup>(٤١)</sup>:

تحين يكفيه المنايا وتارة تسحان سحا من عطاء ونائل<sup>(٤٢)</sup>

وتحفل سير الملوك وأخبارهم والقابهم واسماؤهم شواهد على سمو منزلتهم واحاطتهم بمظهر الاجلال والرهبة وما يعزز تسمية الملوك بـ(الارباب) أن الشعراء نقلوا لنا بعض مظاهر احتفاء العرب بهم منها قيامهم ركوداً أمام الملك العربي إذ طلع عليهم كأنهم يقومون رهبة للהלal وهذا السيد (الرب) هو امتداد موروث للشماثل السامية على ما صورته لنا النابغة الذبياني في مديحه للنعمان بن وائل بن الجلاح الكلبى<sup>(٤٣)</sup> حين قال :-

تخب إلى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريقي وتالدي  
علوت معدا نائلا ونكابة فأنت لغيت الحمد اول رائد<sup>(٤٤)</sup>

ولعل تشبيه الملوك بالكواكب بعامة ما يدخل ضمن هذا الإطار حتى خاطب النابغة الذبياني ملكه النعمان بهذا التشبيه معززا آياه بما يضيف عليه صفات التقديس قائلاً :

الم تر أن الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب  
بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب<sup>(٤٥)</sup>

وقد نقل عن العرب قولهم ((أن دماء الملوك شفاء من الكلب أو الخبل) ويبدو أن هذا المعتقد متأثراً من نظرة المجتمع الجاهلي إلى الدم الملكي ذي الصفة القدسية وهي نظرة تلتقي مع ما كان سائداً في المجتمعات القديمة حيث عد هذا النوع شرطاً أساسياً واجباً توافره فيمن يختار لمنصب ديني رفيع<sup>(٤٦)</sup>، ومن هنا جاء الاعتقاد أن الملوك إذا تلو فأندماءهم تشفى المخبولي، وقد وجد الشعراء في هذا القول منفذاً للبعير عن واقع تجاربهم في الحياة، كما في قول النابغة :-

## بناء مكارم واساة جرح دماؤهم من الكلب الشفاء<sup>(٤٧)</sup>

وتأتي اسطورة (زرقاء اليمامة) التي يستثمرها النابغة في طلبه من الملك النعمان أن يكون عادلاً متفهماً في النظر إلى الأمور، كما في (شخصية زرقاء اليمامة) التي تتلخص قصتها بأن هذه الشخصية قد اندرت قومها بأن هناك أشخاصاً وعلى رؤوسهم أشجار تمشي باتجاه بلادهم وعلى القوم أن يتهياؤا لهم فكذبوها، وكان ذلك كما قالت فأصبح بهم العدو وبادهم وضرب بلادهم وهدم قصورهم وكانت تسمى إذ ذاك جو اليمامة<sup>(٤٨)</sup>.

وكان النابغة الذبياني نابعا في استخدامهما في المكان الملائم سيما أن الاعتذار هو الحل الأمثل في إرضاء الملك النعمان من بغض أو قطيعة أو تهديد وملاحقة ولم تكن كما تصور البعض اعتذارا عن حاجة نفعية بحثة بل هي إحاسيس ومشاعر نظمها لتحمل معاني الأخلص والمودة.

احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شراع واردة النمد  
يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد  
قالت إلا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد  
وحسبوه فألفوه كما حسبت تسعا وتسعين لم ينقص ولم تزد  
فكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسة في ذلك العدد<sup>(٤٩)</sup>

فالشاعر يطلب من النعمان أن يكون حاد البصر حدة هذه الفتاة تنفذ نظراته إلى جواهر الأمور وتتفحص أصولها وتتحرى الدقة في الأحكام ولا يذهب مذهب أولئك الذين اتهموه بالباطل ولفقوا عليه من الجرائم ما يأنف منه الرجل الكريم ومن هنا كان استخدام الشاعر لهذه الصورة جيداً، واستغلاله لطواهرها الحسية موفقاً<sup>(٥٠)</sup>.

### الخلاصة :-

وهكذا ننتهي إلى أن الفكر الاسطوري عند العرب بما يحمل من معتقدات واساطير والذي نهل منه الشعراء كان يشكل جانباً كبيراً من تفكيرهم فاستلموه وضافوا إليه من تجاربهم الفنية بالاحداث فانعكس ذلك في نتاجهم الشعري، والنابغة الذبياني الذي عرضنا استخدام الاساطير والمعتقدات في شعره في الصفحات الماضية احد ألمع الشعراء العرب الذين استثمروا الاساطير والمعتقدات والطقوس و اضاف إليها من خلال ثقافته واسلوبه مما جعلها تنبض بالحياة والدلالات والمعاني التي سمت بتلك الاساطير إلى أبعد من واقعها الاسطوري والزمني مما حملها ابعادا دلالات اخرى وقد رأينا ان نتاجه الشعري المتمثل بديوانه قد حفل بكثير من تلك الاساطير التي تعد من أجمل وابدع القصائد في الشعر العربي.

## الهوامش

- (١) ديوان النابغة الذبياني، حققه المحامي فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت-لبنان، د.ط، ١٩٦٩، ص ١٢.
- (٢) ينظر ديوان النابغة الذبياني، ٥ .
- (٣) ينظر الأسطورة عند العرب في الجاهلية، د. حسين الحاج حسن، ١٢١ .
- (٤) الحيوان، للجاحظ، ٢٤٩/٦-٢٥١ .
- (٥) م.ن، ١٩١/٦ .
- (٦) ينظر لسان العرب مادة جن .
- (٧) صفة جزيرة العرب، الهمداني، ٢٦٩ .
- (٨) ديوان النابغة الذبياني، ٥.
- (٩) الديوان، ٣٤ .
- (١٠) الديوان، ١٩٣ .
- (١١) القاموس المحيط، مادة عاف .
- (١٢) الاسطورة عند العرب في الجاهلية، د. حسين الحاج حسن، ٥٩ .
- (١٣) موسوعة الاساطير العربية، د. محمد عجية، ٣١٠/١ .
- (١٤) خزانة الأدب للبغداد، ٤٦٢/٢ .
- (١٥) الحيوان، ١٢٩/٣-١٣٦ .
- (١٦) ديوان، ٤٣ .
- (١٧) التوظيف الاسطوري في الشعر الجاهلي، د. وهب رومية، ٩ .
- (١٨) سورة يس، الآية ١٨ .
- (١٩) مسند الأمام احمد بن حنبل، طبعة اسطنبول، ١٩٨٢، ٢٢٠/٢ .
- (٢٠) الحيوان، ١٣٦/٣ .
- (٢١) القاموس المحيط، مادة جدر .
- (٢٢) الديوان، ٩٢ .
- (٢٣) التيجان، ٧٥ .
- (٢٤) دراسات في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، ١٨٨ .
- (٢٥) الديوان، ١٩ .
- (٢٦) ينظر دراسات في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، ١٨٨ .
- (٢٧) الديوان، ١٢٣ .
- (٢٨) ينظر الاسطورة، التوظيف الاسطوري في الشعر «مناهج وتطبيقات»، د. يوسف حلاوي، ٩٢ .
- (٢٩) المخصص، لأبن سيدة، مواد الكلمات .
- (٣٠) الاسطورة عند العرب في الجاهلية، د. حسين الحاج حسن، ٧٠ .
- (٣١) دراسات في الشعر الجاهلي، ٢٠٣ .
- (٣٢) حماسة البحتري، ٣٥٣ .

- (٣٣) الديوان، ٣٧ .
- (٣٤) التوظيف الاسطوري للشعر الجاهلي، ٨ .
- (٣٥) خزانة الأدب للبغدادي، ٤٦٢/٢ .
- (٣٦) دبلوغ الأرب في معرفة كلام العرب، ٣٣٦/٢ .
- (٣٧) الديوان، ٣٣ .
- (٣٨) من الاساطير العربية والخرافات، مصطفى الجوزو، ٢٨ .
- (٣٩) رسائل الجاحظ، ٢٧٠ .
- (٤٠) ديوان، ٣٨ .
- (٤١) ينظر الاسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، أ.د. احمد إسماعيل النعيمي، ٦٧ .
- (٤٢) الديوان، ٤٧ .
- (٤٣) ينظر الاسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام،
- (٤٤) الديوان، ١٤٠ .
- (٤٥) م.ن، ٧٣-٧٤ .
- (٤٦) مصر والشرق الأدنى القديم، دكتور نجيب ميخائيل، ٢٦٨/٤ .
- (٤٧) ديوان، ١٠٥ .
- (٤٨) تنظر القصة في تاريخ الطبري، ٧٧٤/١ .
- (٤٩) الديوان، ٢٦ .
- (٥٠) ينظر دراسات في الشعر الجاهلي، ١٨٢ .

### فهرست المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم .

- ١- الاسطورة (التوظيف الاسطوري في الشعر) يوسف حلاوي مناهج وتطبيقات، مطبعة دار الحداثة، لبنان، ط١، ١٩٩٢ .
- ٢- الاسطورة عند العرب في الجاهلية د. حسين الحاج حسن، طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، طبعة مزيدة ١٩٩٨ .
- ٣- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الألويسي محمود شكري، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبعة دار الكتب العربي بمصر (د.ت).
- ٤- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م .
- ٥- التوظيف الاسطوري في الشعر الجاهلي، د. وهب رومية، طبعة دار الكتب اللبناني، ١٩٨٢ .
- ٦- التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه (ت١١٠هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط١، ١٩٦٢ .
- ٧- الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، حنا الفاخوري، طبعة لبنان، ٢٠٠٤ .

- ٨- حماسة البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤)، المطبعة الرحمانية بمصر، ط١، ١٩٢٩.
- ٩- الحيوان للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٠.
- ١٠- خزانة الأدب للبغدادي، عبد القادر بن عمر، تحقيق عبد السلام هارون، الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٧.
- ١١- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، د.ت.
- ١٢- ديوان النابغة الذبياني، حققه المحامي فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت-لبنان، د. ط، ١٩٦٩.
- ١٣- دراسات في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، د.ت.
- ١٤- رسائل الجاحظ وبضمنه (كتاب النساء)، جمعها ونشرها حسن الشويبي المطبعة الرحمانية بمصر، ط١، ١٩٣٣.
- ١٥- صفة الجزيرة العربية، الهمداني، تحقيق محمد بن علي الاكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٤.
- ١٦- القاموس المحيط، الفيروز آبادي أبو طاهر بن يعقوب، مطبعة السعادة بمصر، د.ت.
- ١٧- مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل النيسابوري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، د.ت.
- ١٨- المخصص لأبن سيدة، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣١٩هـ.
- ١٩- مسند الأمام احمد بن حنبل، ط، اسطنبول، ١٩٨٢م.
- ٢٠- مصر والشرق الأدنى القديم، د. نجيب ميخائيل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٩٦م.
- ٢١- معجم لسان العرب، أبن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.
- ٢٢- من الاساطير العربية والخرافات، مصطفى الجوزو، دار الطليعة، بيروت، ط١ ١٩٧٧م.
- ٢٣- موسوعة الاساطير العربية، محمد عجيبة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

---

## **The myth between technical structure & the semantic production**

### **In AL Nabigha Thubiny ,s poetry**

#### **Summary**

Language is clearly associated with identity, and language is the cornerstone of identity as the true melting pot of the elements of belonging and memory of the future . since the relationship of language with identity is a very close relationships, Arabic is considered an identity of its Arab owners because it is the language of the holy Quran and its close association with the civilization of the Arab nations as well as having other characteristics that distinguished it from other language .

The Arab nation is facing great challenges that seek to undermine its identity, but rather to make it subordinate to other language . These challenges include : Globalization, media in all its aspects, and the dualism on the colloquial and the philistine language . Globalization, the media in all its aspects, and the duality of colloquial and philistine language. the research shows the necessity of mobilization the Arab nation in general and Islamic in particular to meet these challenges by reformulating the cultural and developmental policy. Preserving the Arabic language is a religious duty and a constitutional right. The loyal people who are interested in language must follow a clear language policy. And media , according to a comprehensive scientific planning .